مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – سلسلة العلوم الهندسية المجلد (17) العدد (3) 1995
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research –Engineering Science Series Vol. (17) No (3) 1995

# الموضوع البطولي في اللوحة الشعبية العربية

الدكتور عبد الحكيم الحسيني*

## ☐ الملخّص ☐

منذ نهاية القرن الثامن عشر كانت اللوحة الشعبية العربية هي الوحيدة التي احتوت العناصر الإنسانية الحية وكانت في بيوت الفلاحين والمقاهي والحمّامات الشعبية.

وتوصّل الفنّان الشعبي إلى التعبير عن ملامح الأبطال الملحميين والتاريخيين من الماضي العربي. وعن الحسان والمخلوقات الأسطورية والحيوانات. ولها نوعان: اللوحة الشعبية المطبوعة–واللوحة التصويرية على الزجاج. وهي في ست مجموعات: اللوحات البطولية، لوحات الحب والعشق العذري، واللوحات ذات الموضوعات الدينية، اللوحات التزيينية الزخرفية، اللوحات ذات الموضوعات القصصية التي تشرح السير الشعبية.

اهتمام الفنّانين وجّه باستمرار نحو حياة و خصال عنترة بن شدّاد وأبي زيد الهلالي والزير سالم، وديباب بن غانم، والإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ويوجد فيها نوعان من التعبير عن البطل:

النوع الأول: مشهد الفارس المسلّح الذي يمتطي الحصان ويودعه مسلّح آخر.

النوع الثاني: مشهد الصراع بين متحاربين.

ومن أهم الفنّانين الشعبيين الفنّان السوري محمد حرب المعروف بأبي صبحي التيناوي.

ويرسم الفنّان الشعبي المشاهد كما يتصورها بإعطاء ميزات جسم الإنسان والحيوان وكان يسطح الأشياء دون رسم المنظور كما كان يميل إلى رسم الأشياء الهندسية المتناظرة وكان يعطي قيمة كبرى للّون والرسم بالألوان الصريحة.

* مدرس في قسم التصميم المعماري - كلية الهندسة المعمارية - جامعة تشرين - اللاذقية - سورية.

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية - سلسلة العلوم الهندسية المجلد (17) العدد (3) 1995
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research –Engineering Science Series Vol. (17) No (3) 1995

# The Heroic Subject in Arabic Flok Painting

**Dr. Abdul-Hakim ALHUSSENI***

❐ ABSTRACT ❐

*Since the end of the eighteenth century, Arabic flok painting was the only one that contained the human living elements, distributed in the houses of villages and coffee-houses, and public bathes(sauna).*

*The flok artist could illustrate the good needs and mythological heroes from the Arabic past, beauties, and mythological animals and creatures.*

*It has two kinds: The printed flok painting, and the painting on glass, and it is in six groups: the heroic painting, painting of love and platonic love, painting that has religious subjects, or laments, and the painting that explains flok tale (syrat).*

*The interest of the artists was continuously repaired to the life and the good deeds of Antara Ibn Shaddad, and Abi Zaid Al-hilalyi, Zir Salem, Diab Ibn Ghanem, and the Imam Ali Ibn Abi Taleb (may God bless him).*

*And it has two kinds of the expression on the hero:*

*- The first kind: the scene of the armed horseman who rides his horse, and another armed one taking leave of him.*

*- The second kind: the scene of fighting between two fighters.*

*One of the most famous folk artist was the Syrian artist Mohammed Harb (Abi Subhi Al-Tinawi), he drew the persons as he imagined not as he saw them, by giving the distinctive features of the human body and the animals, and he was flotering the things without drawing the perspective, and he inclined to draw the architectural and symmetrical things, and gave a great value to coloring and drawing with hot colors.*

*Lecturer at Department of Architectural Design, Faculty of Architecture, Tishreen University, Lattakia, Syria.

تعتبر اللوحة الشعبية العربية فنّاً أصيلاً، وهي من فنّ الشرق العربي الذي لم يحصل حتى الآن على تقييم عادل بينما قيمته الفعلية ومعناه ومركزه وأهميته واسعة جداً.

منذ نهاية القرن الثامن عشر كانت اللوحة الشعبية العربية هي الوحيدة التي احتوت على العناصر الإنسانية الحية بغضّ النظر عن الرسوم التي وجدت على إبداعات الفنون التطبيقية. وإذا كان الهدف من وجود هذه الرسوم هو التزيين الفني للأشياء المستخدمة، فإن تصوير الأشخاص والعناصر الحيّة والطبيعة المحيطة بنا في إبداعات الفنّانين الشعبيين العرب استخدمت بالدرجة الأولى كمضامين للموضوعات المختارة من قبلهم وعبرت عن التصورات الشائعة بين الناس عن الحياة والتاريخ والحضارة ونفسية الإنسان، وكانت بمثابة الكتاب بالنسبة للأشخاص الأميّين رائدة. وكانت موزعة في بيوت الفلاحين كنوع من أنواع الزينة على الحيطان، واحتلّت مكاناً جميلاً بين الأثاث في المقاهي والحمّامات الشعبية.

ومنذ النصف الأول من القرن التاسع عشر استطاع الفنّان الشعبي التوصل إلى نجاح باهر في التعبير عن ملامح الأبطال الملحميين والتاريخيين من الماضي العربي العريق وعن الحسان الشهيرات بهم والمخلوقات الأسطورية والحيوانات. إضافةً إلى ذلك فإنهم تعرّضوا للموضوعات الدينية حول المضامين، التي ارتبطت ببعض المراحل التاريخية الإسلامية وبكرامات أو سيرة الأولياء ومشاهد الجوامع والأضرحة ومشهد الرحلة إلى الحج وطيران البراق.[1]

تتمثّل اللوحة الشعبية العربية في نوعين أساسيين: اللوحة الشعبية المطبوعة، واللوحة التصويرية على الزجاج. وتاريخ ظهورها وازدهارها في البلاد العربية غير واضح تماماً، وكانت هذه اللوحة واسعة الانتشار في بداية القرن التاسع عشر في غالبية البلاد العربية، ووصلت بسرعة إلى قمّة انتشارها في النصف الثاني من القرن نفسه، وما زالت بعض هذه النماذج محفوظة حتى أيامنا هذه.

لتحضير اللوحة الشعبية المطبوعة حفر الفنّانون على ألواح الخشب المصقول بشكل مقلوب بتقنية الغرافيك المطبوع بعد إعداد الرسم التحضيري لها ثم طبعوها بوساطة المكبس الضاغط والحبر الخاص أو بالشكل اليدوي. ثم لوّنوا النماذج المطبوعة بألوان مائية وفي مراحل متتابعة.[2]

وأيضاً فإن اللوحة المرسومة على الزجاج أعطيت على مراحل واستعمل

الفنانون الشعبيون ما يسمى بالأسلوب البارد للتلوين على الزجاج حيث رسموا الموضوع على الوجه الآخر من الزجاج الشفاف بالألوان الزيتية دون تثبيتها بالحرق والحرارة.[3]

يعدّ الموضوع هو الجانب الأكثر تراثية وأصالة في اللوحة الشعبية العربية ففي تاريخ تكوّنها وجدت فيها موضوعات غريبة كصراع الأبطال مع الغيلان. ولكن لنا أن نقسّمها من حيث المضمون في ست مجموعات:

اللوحات البطولية.

لوحات الحب والعشق العذري.

اللوحات ذات الموضوعات الدينية.

اللوحات القصصية التي تشرح السير الشعبية.

أخيراً اللوحات التي محتواها الخط العربي فقط.

أكثر هذه الموضوعات انتشاراً وجماهيرية واسعة هي لوحات البطولة، فيها تعبير عن الأبطال المشاهير التاريخيين والملحميين مع مشاهد من صراعهم مع الجيوش الجرارة فيها توصل الفنانون الشعبيون بفضل الرسم المبدع واللون المميز إلى إظهار الشجاعة القاهرة لأبطال لوحاتهم وصبّوا فيها آمالهم وأمانيهم عن أفضل مميزات البطل العربي التراثي.

اهتمام الفنانين العرب وجّه باستمرار نحو حياة وخصال "أبي زيد الهلالي" و"سلامة بركات" و"الزير سالم" و"دياب بن غانم" وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وآخرين من الأبطال، ولكن أكثرهم شهرة وقرباً من قلوب الناس "عنترة بن شدّاد" وكان في كثير من اللوحات الشعبية بجانب اسمه صفته الشائعة(أبو الفوارس).

سيرة عنترة بن شدّاد تقع في اثنين وثلاثين جزءاً وطبعاتها متعددة ومختلفة الحجوم والجودة بطل السيرة واللوحات الشعبية الكثيرة كان شخصية تاريخية حقيقية، فهو البطل الشاعر عنترة الذي عاش في الجزيرة العربية في القرن السادس وتوفي في بداية القرن السابع الميلادي، ومصيره لم يكن عادياً، فقد كان رئيس قبيلته "بني عبس" شدّاد والأمة الإثيوبية زبيبة غير معترف به لسواد لونه وعمل عنتر وإقدامه وحبه للخير وكان حادّ الذكاء ومبدعاً في الشعر. وذهب بعيداً في حب ابنة عمّه الحسناء "عبلة" وسجل انتصارات في مواقع عديدة واشتهر ببطولته وأصبح في سوية أفاضل القوم.

وبفضل شعره أصبح عنترة من الأوائل بين الشعراء العرب آنذاك، لهذا فإن الفنانين الشعبيين غالباً ما كانوا يكتبون

بجانب مشاهد من سيرته أبياتاً من شعره فزادوا من تأثير لوحاتهم في المشاهدين.

الشخص الثاني من حيث الشهرة في اللوحات الشعبية العربية كان أبا زيد الهلالي سلامة بركات الذي كان مصيره يذكرنا بمصير عنترة الأبن الأسود للشيخ "سروة" ابن رزق وأمه خضرة كانت ابنة شريف مكة، وعاش معها مبعداً عن قبيلته إلى قبيلة أخرى تدعى "الذهلان" والتقى للمرة بوالده في لحظة مبارزته له إبّان الحرب الدائرة بين قبيلته الجديدة "الذهلان" وقبيلة والده "هلال" وبعد انتصار أبي زيد عرفه قوم قبيلة "هلال" الذين سبق لهم أن طردوا والدته منها فاعترفوا بأبي زيد ذي القوة والشجاعة والإقدام، ثم قاد قومه نحو بلاد المغرب وأثناءها وقعت في الطريق أحداث وأهوال يظهر فيها كبطل قوي وذكي. والسيرة تقع في قسمين رئيسيين هما الريادة والتغيبة.

ومن الموضوعات التي استفاد منها الفنانون الشعبيون كانت سيرة الزير سالم الذي كان مثالاً للدهاء والحنكة والشجاعة. ورسموا في كثير من الأحيان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في لوحاتهم الشعبية وعبّروا عنه بطلاً قويّاً ومحارباً بارعاً نازل الأقوياء وصارع الجنّ والغيلان وانتصر عليهم وساعده في هذا سيفه "ذو الفقار" وتوجد لوحات شعبية فيها مشهد صراع علي بن أبي طالب وملك الجان أو ملك الغول، العملاق الشهير الذي شطره علي بسيفه إلى شطرين.[3]

في إطار موضوعات البطولة يوجد نوعان من التعبير عن البطل:

النوع الأول: مشهد الفارس الذي يمتطي الحصان الشامخ بكامل سلاحه وكأنه يتوجه إلى جهة ما، يودّعه مسلّح آخر أحياناً.

النوع الثاني: مشهد الصراع بين متحاربَين ونادراً ما نلتقي بلوحات فيها صفوف من المقاتلين كما هو في لوحة الفنان الشعبي السوري محمد حرب المعروف بأبي صبحي التيناوي.

في الإبداعات من النوع الثاني توجد لحظة هامّة أو رئيسية يختارها الفنان الشعبي ليوضح فحوى اللوحة بشكل مكثف وليعبر عن الديناميكية الحركية الكامنة في الموضوع مثل لحظة إنهاء البطل للمعركة بالضربة القاتلة: عنتر يقطع أو يقد "عبد زنجير" إلى قسمين أو عندما يفقأ دياب بن غانم بالسهم عين الزيناتي خليفة، أو عندما يقطع علي بن أبي طالب بسيفه رجل عمرو بن ود العامري، سيف بن ذي يزن يقطع رأس "سيف ارعد" من جسمه.

في بعض اللوحات صورت إلى جانب شخصية البطل صورة محبوبته على

الحصان أو على الجمل على السرج المزركش أو في الهوادج المزينة وهي ترفع لمحبوبها المنتصر زهرة تشجيعاً وتقديراً له وتعبيراً ورمزاً لانتصاره.

رسم الفنانون الشعبيون تكوينات كهذه في موضوعات أخرى مثل صراع "عنترة" لعبد زنجير بحضور "عبلة" أو صراع "أبي زيد الهلالي لهراس" بحضور "ناعسة الأجفان".

في اللوحات ذوات مشهد قتال الزير سالم مع جساس رسم الفنانون الشعبيون جثة كليب فأوضحوا بذلك سبب قتال الزير سالم الذي انتقم للقتل الغادر ضد أخيه.

بعد النظر إلى أبطال اللوحات الشعبية البطولية الذين صوروا في اللحظات الهامة من القتال والحماسة منها فإن وجوههم بقيت هادئة خالية من الأحاسيس ووقفاتهم شكلية تخطيطية. وهذا يتجاوب مع ميزة موجودة في اللوحات الشعبية العربية بأن فنانيها يرسمون الأشخاص والحيوانات بما يتجاوب مع تصوراتهم في إعطاء مميزات جسم الإنسان والحيوان.

وقد رسم الفنانون الشعبيون الأشخاص والحيوانات والطيور والحشرات حسب تصورهم لا كما في الواقع في مواضع أو وقفات مختلقة وإنما كما يعرفها الفنان الشعبي اعتماداً على الأشكال التراثية والعناصر المعروفة سابقاً. أو كما يتصور أن المشاهد يفهم الشكل الذي يرسمه سهلاً مفهوماً للرائي. ويرسم الجزء العلوي من جسم الإنسان في الوضعية المقابلة، أما الجزء السفلي والأقدام فبشكل جانبي وكذلك رسم العيون بشكل جانبي، وهي تنظر إلى المشاهد وهي تعبر عن أحاسيس الفنان.

الإحساس الانفعالي، وسرعة الحوادث تؤثر علينا بفضل تجميع وتزاوج الأعمال والحوادث التي حدثت على حده وفي فترات مختلفة، فترى الحوادث ونتائجها التي يجب أن تحصل بعد فترة من الزمن في لوحة واحدة أو ما حدث سابقاً من قبل البطل منذ عهد مضى في واقعة أخرى وهي محور هذه اللوحة. على سبيل المثال في إحدى الأعمال الشعبية المطبوعة(من مجموعة المكتبة المركزية بليننغراد- الاتحاد السوفييتي) نجد قتال علي (رضي الله عنه) مع "عمرو بن ود العامري" فسيف علي موضوع إلى جانبه بينما يحمله عمرو برجله المقطوعة ليرد بها الضربة، أما في لوحة "أبي صبحي التيناوي" (من مجموعة قصر العظم بدمشق) قتال دياب بن غانم مع "زيناتي خليفة" رسمت الرؤوس المنهالة التي قطعها البطل في معارك سابقة.

أما الميزة الأخرى للوحة الشعبية العربية فكانت التخطيط السطحي لمكان الحدث والتسطيح في الأشكال، وغياب المنظور. غالباً تكون شخصيات اللوحة

الشعبية البطولية قد وضعت من قبل الفنانين على خلفية منظر وهمي على شكل زهور وأعشاب خالية تنمو على خط الأرض المبتكر (وهذا الخط المستقيم أو المتعرج وضع بدلاً من خط الأفق).

كان الفنانون الشعبيون يميلون إلى رسم المشاهد الهندسية والتناظر والتوازن في توزيع الأشخاص والأشياء والكتل على سطح الورقة التي ساهمت في صنع تكوين جيد. هذا يبدو أكثر وضوحاً في اللوحة ذات الموضوع البطولي بالضبط، فقد جمع الفنانون العناصر الأساسية في أعمالهم بشكل نسبي حول موضوع في وسط اللوحة لشكل عمودي. في كثير من الأحيان كانوا يخضعون لمبدأ المقلوب العاكس (كما في المرآة) ففي اللوحات البطولية وضعت في أغلب الحالات ذوات مشهد النزال بين فارسين (إفراديين) لا يشكل البطلان المتقابلان توازناً شكلياً بين كتلتين فحسب وإنما يتكرران بشكل متقابل كلياً، فجسما الفارسين المتحاربين ينظر بعضهما إلى بعض من حيث الحركة والوقفة والمشهد، بل متطابقان متشبهان. في تلك الحالات عندما لم يسمح الموضوع الأدبي مسايرة التناظر، وضع الفنان الشعبي التوازن الشكلي على حساب تكبير حجم الشخص أو وضع الخط العربي أو اللون الصارخ في اللوحة.

تعتبر قيمة اللون في اللوحة الشعبية العربية عالية جداً، فهو يلعب دوراً في إحياء المشاهد والأشخاص وإعطائهم روحاً وحركة وإحساساً. الانسجام اللوني في إبداعات الفنانين الشعبيين وضعت بشكل أساسي من الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق والأسود والبني ودرجاته اللونية، وقد وضعها الفنانون ألواناً فاقعة صارخة غير ممزوجة على سطح الورقة أو الزجاج بقعاً منفصلة ضمن الخط المرسوم المحدد. ويبدو أنه من مميزات اللوحة الشعبية استعمال الألوان البنية الفاتحة التي أعطيت لون الشعر والجسم ولون الحصان والصحراء والجمال الخ.....

وكذلك استعمال اللون الذهبي لتزيين الجزئيات والزخارف في الألبسة والأسلحة والأسرجة.

أفضل اللوحات الشعبية هي التي تدهش المشاهدين بغناها وتنوع الحلول اللونية الرائعة فيها، فإن حسن توزيع اللون يحدد بالضبط درجة جمالية وزخرفية اللوحة الشعبية العربية، الزجاجية منها والمطبوعة وهي تعكس الرضى والتفاؤل بالحياة لدى فنانيها فحتى تلك الأعمال التراجيدية التي تحوي موضوعاً ليس سعيداً كالتي تحكي مقتل شخص أو معركة دامية تحوي في ألوانها وطريقة عرضها حب الفنان للحياة العربية الحرة والسعيدة.

وتتميز اللوحة الشعبية العربية باعتمادها على الماضي التاريخي منهلا وفيرا لموضوعاتها، وهذا يبدو أكثر وضوحا في اللوحات التي تحوي الموضوع البطولي.

مشاهير اللوحة الشعبية العربية لم يأخذوا موضوعا معاصرا-إلا نادرا-بل اغترفوا من مناهل تاريخ أمتهم العريق[5]، ومن روائع الأدب العربي الشعبي، وذلك لأن ظهور وتطور اللوحة الشعبية العربية كان في ظل الاحتلال العثماني للبلاد العربية عندما عاشت الثقافة العربية عهدا من الخمول والانحطاط، لهذا فإن فناني اللوحات الشعبية ابتكروا شكل البطل واستمدوا ملامح من التاريخ، وبذلك ظهروا معاصريهم ومواطنيهم بأمجاد البطولات العربية. هذا لم يكن هروبا إلى الماضي أو تقاعسا عن أداء الواجبات وضرورات الحياة، بل كانت الغاية لدى الفنانين هي الربط بين الماضي المشرق والحاضر العقيم وكانت محاولة لمد الجسور بين عهد البطولات وأيام الأنكسارات ونداءا إلى الشعب بضرورة الدفاع عن الشرف القومي تذكيرا ببطولات عنترة والزير سالم وأبو زيد وعلي وآخرين...

من الملامح المميزة للأعمال الشعبية المطبوعة واللوحات الزجاجية منها، ارتباطها الشديد بالأدب وهكذا كما في السير الشعبية فإن الفنانين الشعبيين كان لكل منهم شخصياتهم المعروفة في الإبداعات الأدبية، وهذا الاتصال واضح بشدة في اللوحة البطولية وقد أخذت الموضوعات وتواردت بشكل تراثي من جيل إلى جيل مرتبطا بالأدب والثقافة وتاريخ البلاد.

**الخاتمة:**

جدير بالذكر أنه على الرغم من أن اللوحة الشعبية العربية تعيش بعض التراجع فإنها تعيش كتقليد متوارث في الشرق العربي حتى أيامنا هذه، وما زال صف من مهرة التصوير الشعبي العربي يتابع العمل على إبداع الأعمال المطبوعة والمرسومة على الزجاج وما زالت أكثرها أهمية في نطاق الموضوع البطولي.

إبداعات الفنانين الشعبيين تستخدم في تزيين البيوت والأماكن العامة وكرسوم توضيحية للقصص والروايات الشعبية التي مازالت منتشرة في جميع البلاد العربية.

ويحتل هذا الفن التراثي دوراً في تطوير الفن العربي المعاصر وإعطائه صورة أصيلة كونها تربط بين التقاليد التراثية والثقافة الشعبية واستمرارية الفن الشعبي مع الفن العربي المعاصر الذي يواكب الفن العالمي. وهذه الأعمال الشعبية المطبوعة والمشاهد والأشكال أدوات الإبداع الفني.

## REFERENCES المراجع


1. سوسن عامر، الرسوم التعبيرية في الفن الشعبي، القاهرة المؤسسة العامة للكتاب 1981- ص72.
2. الرسم الشعبي في مصر 1971. ع56.
3. محمد عبد الرحمن المصمودي، الرسم الشعبي على الزجاج في تونس مجلة الثقافة العربية 1974، ع61.
4. محمد عبد الرحمن المصمودي، الرسم تحت الزجاج، نشأته في تونس، كاتالوج، منشورات اتحاد الفنانين 1982.
5. سعد خادم، تصويرنا الشعبي عبر العصور-القاهرة دار الكلام 1963.